لماذا يشتم السوريون أدونيس..؟!

orient-news.net/ar/news_show/93588

لماذا يشتم السوريون أدونيس..؟!

علي سفر

تاريخ النشر: 07-11-2015 06:35

في نهاية اللقاء الذي أجرته جريدة (الزايت) الألمانيّة مع الشاعر السوري أدونيس، والذي تمت ترجمته في موقع (أنا برس) قبل عدة أيام يسأل الصحفي ضيفه: "كيف ينبغي إذن إصلاح سوريا إذا لم يكن ذلك عن طريق إسقاط الأسد؟" فيجيب أدونيس: "لا بد من انتخابات نزيهة ترعاها الأمم المتحدة، الشعب يقرر من يحكمه، وليس الفلاسفة."

يستغرب الصحفي الإجابة فيقول: "لكن خُمس هذا الشعب نزح من البلاد."!؟ فيرد أدونيس على السؤال الضمني بالقول: "عندها يجب أن يتم الانتخاب بمن بقي في البلاد."..!

مواقف أدونيس التي عول الكثيرون في العام 2011على أنها ستأتي لصالح ثورة السوريين ضد نظام الاستبداد، صدمت الجميع منذ البداية، حين لم تذهب إلى تبني خطاب الثورة، الذي عبر عنه الثائرون بطريقة سلمية، بل إن تصريحات الرجل مضت نحو نقدها من خلال ظواهر حركتها (قصة خروج الثائرين من الجوامع)، وليس البحث في الأسباب التي تؤدي إلى تعثر خطابها المدني الديموقراطي..!

أحدٌ ما، حاول -كما الكثيرين من ناشطي الحراك الثوري- في العام 2011 أن يقرأ موقف أدونيس من خلال سياق ثقافي، يؤكد على استقلالية المثقف، ويبني دوره من خلال وظيفته النقدية، التي تمنحه القدرة والطاقة على قراءة الظواهر من خلال المنهجية التي يريد. دون أن تتم إدانته لمجرد عدم تأييده للثورة في كل ما ذهبت إليه، فصوت أدونيس في ذلك الوقت لم يكن صوتاً مفرداً، بل كان هناك الكثيرون الذين تحدثوا بذات المضامين، ولكن بأشكال أخرى. ومن هؤلاء قوى سياسية لا يمكن أن تتهم بالوقوف مع النظام لمجرد رفضها الشكل الذي ذهبت إليه واقع وحركية الثورة.

ولكن السؤال الذي تأخذنا إليه حركية الواقع، لا تصورات المثقفين أو الفلاسفة، الذين لا يرغب أدونيس بأن يكون لهم كلمة فيما يحدث، يقول: كيف يمكن للمثقف أن يستخدم سياقه، وموقعه النقدي، بطريقة نفعية (براغماتية) بهذا الشكل، وبما يجعله يفرض على السوريين شكلاً محدداً لعملية التغيير السياسي؟! فهو يريد منهم أن يغيروا النظام الحاكم من خلال صناديق الاقتراع، وهو يدري حكماً بأن هذه الآلية قد تمت مصادرتها من قبل النظام الذي يرفض أن يتغير، ولا أدل على ذلك من أن رأس النظام قد صرح

قبل أيام بأنه يرحب بانتخابات رئاسية مبكرة، وفي الوقت ذاته يصرح أحد أركان النظام بأنه يرفض فكرة (الفترة الانتقالية)..!!
ولنفترض بأن هذه الانتخابات ستتم برعاية أممية كما يطرح أدونيس، فهل يمكن فعلاً إجراء ذلك والشعب السوري قد بات مشتتاً بين النزوح واللجوء، وبين المناطق المحاصرة، وبين المناطق التي تسيطر عليها داعش وتعيث فيها خراباً، وبين المناطق التي يسومها النظام قمعاً وإرهاباً من خلال قواه الأمنية والميليشيات الطائفية المتحالفة معه؟
أدونيس وبضربة سحرية، ومن خلال موقف كان ينتقده قبل جملتين فقط، ومن خلال موقع لا علاقة له بالثقافة وسياقها ولا بالموقف النقدي المستقل للمثقف، يقترح إجراء هذه الانتخابات بمن تبقى في البلد، ويشطب حق ملايين السوريين في أن يختاروا مستقبل بلدهم، وشكل الحكم القادم!!
قبل ثلاث سنوات من الآن كتبت في مكان ما عن ضرورة مناقشة أدونيس، بدلاً من شتمه، وكان يمكن لفكرة النقاش أن تتركز على القضايا العميقة فعلاً في عملية التغيير المجتمعي، وغير ذلك، ولكن أدونيس ذاته كان يجر خصومه السياسيين إلى عتبات أقل من عتبة النقاش الفكري، فهو يطلق المواقف المستفزة، ليس للمثقفين السوريين والعرب الذين أيدوا الثورة السورية فقط، بل المستفزة أيضاً لعموم الشعب، وبالتأكيد فإن واقع الدم الذي فرضه النظام ورأسه (المنتخب شرعياً بحسب أدونيس) لن يجعل من كلام وأفعال الشاعر المرشح الدائم لجائزة نوبل، كلاماً عادياً يطلقه مثقف له حرية الاختيار في المواقف والخيارات، بل إنه يصبح كلاماً مؤذياً لصورته كمثقف وشاعر، ولهذا فإن الشتائم المقذعة التي يوجهها السوريون له على شبكات التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى اتهامه بالخرف، هي استكمال للسياق الذي تفرضه تصريحاته، ولا عجب في الأمر، فالشعب الذي يُقتل من أفراده العشرات والمئات كل يوم، ونزح وهجر خارج أرضه، لن يرى في "المنطق الأدونيسي" المعقم من أي إشارة إلى جرائم الأسد وطغيان نظامه، سوى وقوفاً إلى جانبه..! وحين سيعلم السوريون الذين اضطروا للخروج من سوريا، بأن أدونيس يسلبهم حقهم في تقرير مستقبلها، بالتأكيد لن يكونوا رحماء في التقييم والنقد والسباب، تجاه الرجل العجوز، الذي بات سياقه الذهني مبني على النزق ومناكفة الخصوم، بعد أن أنكر على الثورة المطالب المحقة التي خرجت من أجلها، وأشتغل على تكفيرٍ مضاد لها عبر اتهامها بالأصولية، وصولاً إلى تحميلها مسؤولية الخراب الذي أصاب البلد..!
ملاحظة غير هامشية: يمكن لنا وبالتوازي مع انكاره على الفلاسفة حقهم في تقرير مصير سوريا، ودعوته للانتخابات بمن بقي في البلد، أن نطلب منه ألا يتدخل بدوره في مصير سوريا، فالشعراء ليسوا أفضل من الفلاسفة حسب المعيار ذاته، ويبقى في النهاية أنه من الضروري التذكير بأن لقاءات فيينا في الاسبوعين الماضيين والتي لم يشارك فيها أي فيلسوف أو شاعر سوري، أقرت وبشكل توافقي الحق الطبيعي الذي سلبه أدونيس من عدد هائل من السوريين، أي حصول انتخابات برعاية أممية، يشارك فيها السوريون أينما كانوا، وأينما حلوا..!